مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(كولوسي ٢: ٨-١٢)

يا إخوةُ انظروا أن لا يسلِبَكم أحدٌ بالفلسفةِ والغرورِ الباطلِ حسب تقليدِ الناسِ على مقتضى أركانِ العالمِ لا على مقتضى المسيح* فإنَّهُ فيه يحلُّ كلُّ ملء اللاهوتِ جسديًّا* وأنتم مملوؤون فيه وهو رأسُ كلِّ رئاسةٍ وسلطانٍ* وفيهِ خُتِنتم خِتاناً ليس من عملِ الأيدي بل بخلعِ جسمِ خطايا البشريَّةِ عنكم بختانِ المسيح* مدفونينَ معهُ في المعموديَّة التي فيها أيضاً أُقِمتم معه بإيمانِكم بعمل اللهِ الذي أقامهُ من بين الأموات.

الإنجيل

(لوقا ٢: ٢٠و٢١؛ ٤٠-٥٢)

في ذلك الزمان رجَع الرُّعاة وهم يمجّدون الله ويسبّحونه على كل ما سمِعوا وعايَنوا كما قيل لهم* ولمَّا تمَّت ثمانيةُ أيامٍ ليُختَنَ الصبيُّ سُمّيَ يسوعَ كما سمَّاهُ الملاكُ

عيد الختانة

اليوم هو اليوم الثامن بعد ميلاد السيد في مذود، في مغارة بيت لحم. في اليوم الثامنِ بعد ولادته تمَّت ختانة الصبيِ وأعطي اسماً. «ولما تمَّت ثمانيةُ أيَّامٍ ليختِنوا الصبيَّ سُمِّيَ يسوعَ كما تَسمَّى من الملاكِ قبلَ أن حُبِلَ به في البطن» (لو ٢١:٢).

في هذا اليوم نحتفل بعيد ختانة السيد وذكرى رقاد القديس باسيليوس الكبير. تشدِّد ليتورجيا العيد على ان السيد قبِلَ الختانة الجسدية إتماماً لشريعة موسى التي أعطاه إياها الرب: «أكملوا كلَّ شيءٍ حسب ناموس الرب» (لو ٢: ٣٩). في قبوله الختانة، الرب يسوع يكمل «كل برّ» (متى ٣: ١٥). وبما ان يسوع هو تحقيق النبوءات والشرائع، فإنه بإتمامه شريعة الختان يضعنا على طريق الخلاص التي ابتدأها بتجسده. الخلاص الذي هيأه لنا الله منذ القديم بوضعه الشرائع والنواميس لكي يُربيَ البشر للوصول إليه: «إن الإله الكلي صلاحه لم يأنف أن يختتن ختانة جسدية، بل قدّم ذاته رسماً ومثالاً للجميع للخلاص. فإن صانع الشريعة يتمم فرائض الشريعة ونبوءات الأنبياء عنه. فيا أيها الحاوي الكل في قبضته، يا مَنْ أُدرج في أقمطة يا رب المجد لك» (من غروب العيد).

العدد ١/٢٠٠٦

الأحد ١ كانون الثاني

ختانة ربنا يسوع المسيح بالجسد

وتذكار أبينا الجليل في القديسين

باسيليوس الكبير

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر السادس

بإتمامه كل شيء حسب الشريعة يُظهر الرب انه أتى لكي يكون عبداً، ولكي يماهي نفسه بالكلية مع خليقته الخاطئة. هذا هو أقصى التواضع الإلهي والمحبة والرأفة التي لا توصف. هذا هو تنازله غير المدرك نحونا نحن التائهين. فهو لم يصر إنساناً فقط «صائراً في شبه البشر»، لكنه أيضاً أخلى ذاته من مجده الإلهي «آخذاً صورة عبد» (في ٢: ٧)، وقبِلَ أن يُختن بسكين رئيس الكهنة مُظهراً علامة الخضوع الكاملة لله. لا تستطيع الكلمات وصف تنازل الرب وقبوله الاختياري بالختان. إنه تواضع لا يُدرك. «أيها الرب الجزيل التحنن، إنك وأنت إله بحسب الجوهر قد اتخذتَ صورة بشرية بغير استحالة. وإذ أتممتَ الشريعة تقبّلتَ باختيارك ختانة جسدية، لكي تنسخ (تُبطل) الرسوم الظلّية وتزيل قناع أهوائنا. فالمجد لصلاحك، المجد لتحننك، المجد لتنازلك الذي لا يوصف أيها الكلمة» (طروبارية العيد).

لقد أُعطي الختان قديما لإبرهيم جواباً على إيمانه. كان الختان علامة عهد بين الله وإبرهيم والشعب كله، وعلامة انتماء الشعب إلى الله (تك

قبل أن يُحبَل بهِ في البطن* وكان الصبيُّ ينمو ويتقوّى بالروح ممتلئاً حكمةً وكانت نعمةُ اللهِ عليه* وكان أبواهُ يذهبان إلى أورشليم كلَّ سنةٍ في عيد الفصحِ* فلمَّا بلغ إثنتَيْ عَشْرَةَ سنةً صعِدا إلى أورشليم كعادة العيد* ولمَّا أتمَّا الأيامَ بقي عند رجوعهما الصبيُّ يسوعُ في أورشليمَ ويوسفُ وأمُّهُ لا يعلمان* وإذ كانا يَظُنَّانِ أنَّهُ مع الرفقةِ سافرا مسيرة يوم وكانا يطلُبانه بين الأقارب والمعارف* وإذ لم يجداهُ رجَعا إلى أورشليمَ يطلبانه* وبعد ثلاثةِ أيامٍ وجداهُ في الهيكل جالساً فيما بينَ المعلّمين يسمَعُهم ويسألهم*وكان جميعُ الذين يسمعونهُ مندهشين من فَهْمِهِ وأجوبته* فلمَّا نظراهُ بُهتا. فقالت لهُ أمُّهُ يا ابني لِمَ صنعتَ بنا هكذا. ها إنَّنا أنا وأباك كنَّا نطلبُك متوجِّعَيْن* فقال لهما لماذا تطلُبانني. ألم تعلَما أنَّهُ ينبغي لي أن أكونَ فيما هو لأبي* فلم يفهما هما الكلامَ الذي قاله لهما* ثمَّ نزلَ معهما وأتى الناصرةَ وكان خاضِعاً لهما. وكانت أمُّهُ

١:١٧-١٤). الرسول بولس يوضح ان الختانَ في معناه الأصلي ليس محصوراً بالجسد فقط، بل وبالروح أيضاً. ليس الختان مسألة لحم فقط، بل مسألة قلب أيضاً. يقول: «فإنَّ الختانَ ينفعُ إن عملتَ بالناموس. ولكن إن كنتَ متعدِّياً الناموسَ فقد صارَ ختانكَ غُرلَةً... لأنَّ اليهوديَّ في الظاهرِ ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهرِ في اللحم ختاناً. بل اليهوديُّ في الخفاءِ هو اليهوديّ. وختانُ القلبِ بالروحِ لا بالكتابِ هو الختانُ الذي مَدْحُهُ ليس من الناس بل من اللهِ» (رو٢: ٢٥-٢٩). هكذا وكما يقول الرب «ما جئتُ لأنقُضَ بل لأكمِّلَ» (متى ١٧:٥)، أي ليعطيه المعنى الأسمى، فإنه نقل وصية الختان من بُعدها الجسدي إلى بُعدها الروحي وصار المهم أن يختن الإنسان قلبه علامة عهد بينه وبين الله، علامة انتمائه وأمانته إلى الله. وعليه أن يترجم هذا الختان أعمالاً: «لأنَّه في المسيح يسوعَ لا الختانُ ينفعُ شيئاً ولا الغرلةُ بل الإيمانُ العاملُ بالمحبَّة» (غلا ٥: ٦)، «بل الخليقةُ الجديدة» (غلا ٦: ١٥).

كيف يختن الإنسان قلبه؟ الجواب هو في المعمودية. هناك يقطع الإنسان كل علاقة له مع قوى الشر والشهوة والفساد ويعلن التزامه بالر ب فينزل إ ل ى الميا ه ليميت الإنسان العتيق فيه ويقوم إنساناً جديداً على صورة خالقه (راجع رو ٦). في المعمودية يختن الإنسان روحه ويختمها بختم موهبة الروح القدس علامة انتمائه إلى الخليقة الجديدة، شعب يسوع المسيح.

اليوم، في عيد رأس السنة الميلادية المصادف مع عيد ختانة الرب، نعاهد الرب أن نقطع قلفة خطايانا ونطبع اسمه على جباهنا ونبدأ عامنا الجديد عاملين بحسب وصاياه لكي نستحق أن نكون من أبناء اليوم الثامن، أبناء زمن الملكوت.

قداس الميلاد

صباح الأحد ٢٥ كانون الأول ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة قداس الميلاد في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة. وبعد قراءة الإنجيل المقدس ألقى سيادته العظة التالية:

«المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرّة.

لقد خُلق الإنسانُ - آدمُ على صورة الله، والمسيح وحده هو صورة الله. «هو صورة الله غير المنظور» (كو ١: ١٥). آدم خُلق أصلاً على صورة المسيح. هذا هو آدم النقي، الصافي، غير الساقط. عندما انفصل آدمُ بعصيانه الله وتمرّده عليه رجع إلى ترابيته لكنه كان يعيش على الرجاء منتظراً أمراً إلهياً آتياً من السماء. يقول بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «كما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي» (١٥: ٤٩). آدم لا يعرف معنى لوجوده إلاّ في المسيح يسوع ابن الله الذي صار بشراً لنصبح نحن أبناءً لله: «لما جاء ملءُ الزمن، أرسلَ اللهُ ابنَه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، لننال التبني» (غلا ٤: ٤-٥)، لنصبح أبناء وارثين لله بالمسيح (غلا ٤: ٧).

المسيح تكلّم عنه اشعياء النبي قائلاً «هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرّتْ به نفسي، وضعتُ روحي عليه فيُخرجُ الحقَ للأمم... لا يكلّ ولا ينكسر حتى يضعَ الحقَ في الأرض» (٤٢: ١ و٤). هذا هو العبد الأمين يعود بطاعته إلى عقد الرباط الذي فصمه آدمُ، وبقبوله الموت إنما يُظهر الطابعَ المطلق لرباطنا مع الله، كأننا نصبح من جديد آلهة.

المسيح إذاً هو الإنسان الجديد الذي ينتظره الإنسانُ الساقطُ المائت، وهو وحده قادرٌ أن يحوّل الإنسان القديم، العتيق إليه. إذا تطلّعنا برجاء إلى

تحفظُ ذلك الكلامَ كلَّهُ في قلبها* وأمَّا يسوعُ فكان يتقدَّم في الحكمة والسنّ والنعمة عند اللهِ والناس.

تأمل

في اليوم الثامن، يوم ختانةِ الصبي حسب أوامر الناموس، أخذ اسمه «يسوع»، الذي يعني «خلاص الشعب». هكذا أراد الله الآب أن يدعوَ ابنه عندما وُلد بالجسد من امرأة. عندها صارَ بصورةٍ خاصةٍ مُخلّصَ العالمِ، كُلِّ العالم، كُلّ الأمم. إقتبل اسمَهُ في يوم خِتانه.

إلى أيَّة أسرار يقودنا هذا الحدث؟

يقول بولس الرسول: «لِيس الختان شيئاً، ولا القلَف» (١كور ١٩:٧). وربَّ مُعترض: أيُعقل أن يكون إله الكل قد سَنَّ، عن طريق موسى، وصيّة لا قيمة لها؟ بل أيُعقل أن يُعاقب الذي يتخطّاها؟ نعم، إنّ الختانة (نَزْع قِطعةٍ من الجسد) لا تعني بِحدِّ ذاتِها شيئاً، لكنّها تشكّل رمزاً كبيراً للسر، أو بالأحرى هي ظاهرة تكشفُ عن حقيقة خفيّة؛ لأنّ المسيح في اليوم الثامن قام من الموت، ومَنَحنا الختانةَ الروحيّة، مُعطياً الوصيّة التالية للرسل: «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح

مجيء الرب إلينا، إذا شئنا أن نتألّه، أن نصبح في المسيح، علينا أن نميت أعمال الإنسان الساقط، إنساننا القديم: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، الطمع، الغضب، السخط، التجديف، الكلام القبيح، الكذب. إذا خلعنا الإنسان العتيق مع أعماله، حينئذ نلبس الجديد الذي يتجدّد للمعرفة حسب صورة خالقه (كو ٣: ٥–١٠).

المسيحُ المنتَظَرُ في القديم كان يُظن مَلِكاً بطّاشاً قوياً، لكن ابنَ الله أتى إلينا صائراً مسيحاً، عبداً لله، رجلَ أوجاع مختبِراً الحزن، معلّماً إيانا كيف نستعيد بنّوتنا ونصبح ورثةً لله به (غلا ٤: ٧). صار الإلهُ مسيحاً ليصبح كلُّ إنسان مسيحاً «لأن كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غلا ٣: ٢٧). من يُعمَّد يصبح مسيحاً على صورة المسيح الذي أمات بشريتنا القديمة ونحن به نميت الخطيئة وما جلبته من مصائب وأحزان.

المسيح وُلِد ليجعل كل من يعتمد باسمه مسيحاً يتألم ويُصلب ويموت عن إنسانه القديم. الكنيسة أصبحت جماعة مسحاء، جماعةَ شعب الله، جماعة أنبياء الرب المتكلّمين باسمه والسالكين بحسب تعاليمه. المسيح ولد ليموت عنا. من المغارة المقمّط فيها بأقماط الولادة، بأكفان القبر، إلى العُري على الصليب والموت. أتى كما يأتي كل طفل عرياناً، فقيراً إلى كل شيء، وهو الغني الواهب لنا كل شيء، إلى ان صُلب واقتبل الموت وهو معطي الحياة.

ربنا دخل تعاريج حياتنا، اختبر كل آلامنا حتى الموت، ما عدا مصدر هذه الآلام والأوجاع أي الخطيئة. اتخذ الإنسانَ بكليته وجعله جديداً، جعله في الحق والحياة. فإن كان الإنسانُ في المسيح فهو إذاً في الحق الكامل. مسيرة الإنسان هي النمو في المسيح إلى أن ينتهي «إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣). هذه المسيرة تعتمد على المحبة المرتكزة على الإيمان.

عندما يتلاشى كل خلاص على المستوى المنظور، عندما يلتفت الإنسان حوله ويسأل إلى أين؟ حتى متى؟ عندما نرى الطرقَ مسدودة أمامنا والظلمة تحيقُ بنا - ظلمة الموت بالتحديد - حاجتنا إلى الثقة الكاملة بالله، الثقة بأنه على كل شيء قدير، والإيمان بأن الله أقوى من الموت، وأن الإنسان الذي يعيش في الله لا يموت وإن دخل القبر، الإيمان بأن الله يدّخر لنا وراء كل ألم وكل اختبار بشارةً سارةً هي الخلاص.

الشهداء يموتون ليس رغم إيمانهم بل وبسبب إيمانهم وثقتهم بأن الله يعضدهم. الشهداء يسلكون طريق الحق ويبقون في أمانة له ثابتة قادرة على مواجهة الموت على مثال يسوع. وتمثّلُ الآلامُ بالنسبة إلى إيمانهم اختباراً تكون القيامةُ موضوعَه الحاسم. يقول كاتب الرؤيا «هنا صبرُ القديسين وإيمانُهم» (رؤ ١٠:١٧). فإن كان اللبنانيون مؤمنين، ولو اختبروا الآلام وكانوا في الظلمة، إن بقيت ثقتُهم بالله راسخةً يكون صبرُهم صبرَ القديسين وإيمانُهم إيمانَ القديسين الفصحي، القيامي، المبني على القول الإلهي «لا تخَفْ، أنا هو الأولُ والآخِرُ، والحيُّ، كنتُ ميتاً وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين آمين» (رؤ ١: ١٧–١٨).

هذا هو الإيمان الذي غلب العالمَ ويغلبُ. «هذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا» (١ يو ٥: ٤). إيماننا برب مات ليُحيي، والإيمان به يجعلنا نرتضي الموت لأننا نريد الحياة الحقة. إيماننا بالذي قال «قد كلّمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلامٌ. في العالم سيكون لكم ضيقٌ، ولكن ثقوا، أنا قد غلبتُ العالمَ».

قال الرب «لا تمسّوا مسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي» (مز ١٠٥: ١٥)، وشعبي الحائر، المتألم، الخائف، يصرخ لماذا تمسّون مسحاء الرب وتسيئون إلى أنبيائه، أولئك الذين

القدس» (مت ١٩:٢٨).

لذلك الختانة الروحيّة تتحقّق بشكل خاص في أوان المعموديّة المقدّسة، إذ يَجعلُنا المسيحُ شركاءَ في الروح القدس. الغايةُ إذاً ليست في تطهير الجسد، بل في تطهير النفس.

في اليوم الثامن خُتِنَ المسيح واقتَبَلَ اسمه. بذلك أتانا الخلاص. «وبه أيضاً خُتِنتم ختاناً غير مصنوع بيدٍ، بِخلعِ جِسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه» (كو ٢: ١١–١٢). مَوْتُهُ كان إذاً من أجلنا، وكذلك قيامته وختانته.

عندما حلَّ الابنُ بيننا، على الرغم من كونهِ إلهاً، لم يَحتَقِرْ قياسَنا، بل خضع للناموس مُرافقاً إيّانا. فخُتِن في اليوم الثامن كما يُختن اليهود، وهو الذي وضع الناموس، ليبرهن عن مجيئه من صُلبِهم، لعلّهم لا ينكرونه. ومع أنّه جاء من نسل داود، قالوا عنه: «وأمَّا هذا فما نعلم من أين هو» (يو ٩:٢٩)، لذلك، اختتن بالجسد، لكي لا يترك لهم عذراً في نكرانِهم إيّاه. بعد الختانة جاءت المعمودية، السر الذي به تُتمّم جوهر الختان، والذي يُغنينا عن الختان، لأنّ الحقيقة تُغني عن الرمز.

القديس كيرلس الإسكندري

كانوا مستعدين للموت من أجل قول الحق، أولئك الذين عرفوا الحقَ والحقُ حرّرهم من الخوف ومن الموت. عندما نشاهد الوجوه على التلفاز نتساءل في لاوعينا من هو الحر بينهم؟ والجواب الداخلي يكون: قليلون. معظمهم مستعبَدون لغاية أو لمصلحة. شهداؤنا الذين انطلقوا أحراراً من الذل والاستعباد، من الخوف، من الأنا، من المصالح الصغيرة الذميمة، من الموت، انطلقوا بالمحبة والتضحية وقول الحق في ما يخص الوطن وشعبه، في ما يتعلّق بالعائلة الكبرى التي شاؤوها واحدة متماسكة متراصة بسببٍ من عشقهم للحق والحرية.

تعرفون الحقَّ والحقُّ يحرّرُكم. ما هو الحق بالنسبة لوطن، أيِّ وطن؟ أليست الحرية والسيادة والاستقلال ما يطلبه أي وطن؟ أليس هناء بنيه وأمنهم في ظل حكم يؤمنون به، في ظل وطن يحتمون به ويدافعون عنه؟ إذا كان هذا يجوز في أي وطن بل هو حقٌ له، لِمَ لا يجوز في لبنان؟ إذا كان هذا حقاً لكل وطن لِمَ لا يكون حقاً لوطن كلبنان فيه عشرات الجامعات وآلاف المدارس، وفيه المؤتمرات والندوات والعلماء والمفكرون والأساتذة.

هل يعي اللبنانيون انهم ينتمون الواحد إلى الآخر ولا ينتمون إلى قبائل وفصائل وعائلات وطوائف ومذاهب وحسب بل ينتمون إلى وطن واحد مساحة أرضه من المساحات الصغيرة جداً على سطح الكرة الأرضية. إن كان اللبنانيون فعلاً صادقين في انتمائهم إلى هذا الوطن العزيز ألا يجدون ان بداية الخلاص هي في جلوسهم إلى طاولة عائلية يتفقون حولها على المبادئ البديهية لوجود وطن وبقائه ونموّه؟

في محبة الوطن والإخلاص له خلاصُ المواطنين جميعاً. العائلة المفككة تنهار وإذا توحّد أبناؤها جابهت الصعاب. هكذا الوطن، إذا تعالى أبناؤه على خلافاتهم الصغيرة من أجل مصلحة وطنهم أنقذوه.

الشهيد الذي يسقط لا يخص عائلته فقط بل يخص الوطن بأجمعه، العائلة الكبرى بأسرها، لأنه مات من أجل ما آمن به ودافع عنه مؤمناً أنّ ما كان يقوم به هو لمصلحة الوطن الذي أحبّ.

في الأوقات المصيرية لا يهم من يأخذ المبادرة. المهم أن تكون المبادرة لخير الوطن وبنيه، للخير العام. الإحتكار في التجارة أمرٌ مرفوض، فكيف إذا كان في ما يتعلّق بالوطن. لا يحق لأحد أن يتكلّم باسم مجموعة إن لم يكن مخوَّلاً منها فكيف إذا كان الأمر يخص الوطن بأجمعه. لذا الحوار ضرورة ملحة، الحوار الذي يتخذ مصلحة وحدة الوطن والمواطنين وخيرهم لا مصالح الطوائف والزعماء والقبائل والدول على اشكالها. إذا كانت محبة الوطن ووحدة بنيه واستقراره وازدهاره هي القاعدة التي يُبنى عليها الحوار، اللهُ المحبةُ والحقُ يسهّل أمور المعنيين ويوفّقهم.

ألا جعل اللهُ المحبُّ البشر أيامنا المقبلة أيام سلام وطمأنينة ومحبة، وجعل شهداءنا الذين سُفكت دماؤهم بسبب حبهم لبنان وبنيه حيث يسكن القديسون والأبرار، ماسحاً كل دمعة من عيون الأهل والأحبة وكل الحزانى والمتألمين، مبعداً كل أذية عن لبنان واللبنانيين وجاعلاً قلوبهم مساكن يرتاح فيها من هو مصدر المحبة والوحدة والسلام.

ألا باركَكم الله وجعلكم تشهدون بالكلمة والفعل وإذا شاء بالدم. آمين».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb